مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع . ربيع الثاني . جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ يونيو - أغسطس ٢٠٠٤ م

٩

- دور بني العباس في إدارة المدينة المنورة
- ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي
- تقرير عن التوثيق الميداني لغزوة أحد
- شجرة النيم من كنوز النباتات الطبية في المدينة المنورة
- فهرس مخطوطات (مكتبة المدينة المنورة) في ليدن (القسم الأول)

دور بني العباس في إدارة المدينة المنورة[1]
في العصر العباسي الأول
(١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٥٠ -٨٤٦م)

د.فيصل عبد الله بني حمد

أستاذ مساعد بقسم التاريخ ، كلية التربية للبنات بحفر الباطن

مدخل

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور بني العباس في إدارة المدينة المنورة في العصر العباسي الأول (١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٥٠ -٨٤٦م)، متتبعًا وُلاتها من البيت العباسي ، وأهم الإنجازات التي تحققت في عهدهم..

لقد واجهت الباحث في هذه الدراسة بعض العقبات ، منها : عدم ذكر المصادر التاريخية لأسباب عزل بعض الولاة العباسيين ، وتأريخ ولايتهم، أو عزلهم عن إدارة المدينة .

وأظهرت هذه الدراسة مدى حرص الخلفاء العباسيين في الاعتماد على أقربائهم من بني العباس في إدارة المدينة المنورة ، إذ بلغ عددهم حوالي ثمانية عشر واليًا ، وكانوا من أعظم رجال البيت العباسي وأقدرهم على إدارة شؤون الدولة ، ولا غرابة في ذلك فهم أهلها وعصبها وعمادها .

واختلفت ولاية المدينة من حيث حجمها ، فبقدر ما كان الوالي مقربًا من الخلافة كانت ولايته تزداد رتبة ومساحة ، فقد تُجمع له عدة ولايات في وقت واحد ، ويبقى واليًا عليها مدة زمنية أطول ، ومثال ذلك : داود بن علي الذي عين

---

(١) وقع خطأ في العدد السابق ، حيث أعلن على غلافه عن نشر هذا البحث فيه ، ولم ينشر هناك .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واليًا على المدينة و مكة ، ثم ألحق بولايته الطائف واليمن واليمامة ، واستمر واليًا عليها ثلاثة أشهر حتى وفاته عام ١٣٣هـ/٧٥٠م .

وبالرغم من تعاقب عدد كبير من أفراد الأسرة العباسية على إمارة المدينة ، إلا أن الخلافة العباسية حرصت على تقصي أخبارهم ، ومعاقبة المقصِّر منهم.؛ إما بالعزل عن ولايته ، أو بمصادرة أملاكه ، أو بكليهما معا.

ولم يسلم من المحاسبة أحد منهم ، حتى عبد الصمد بن علي (شيخ البيت العباسي) إذ خضع للمساءلة من قِبل عمه الخليفة أبي جعفر المنصور لارتكابه أخطاء أثناء ولايته على المدينة سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م .

ومع ذلك كان لبعض الولاة من بني العباس جهود كبيرة في القيام بإصلاحات داخلية في ولاياتهم ، والقضاء على الحركات المناهضة لدولتهم ، فانعكس أثر ذلك إيجابًا على الدولة ، إذ أسهم في ازدهارها وتقدمها .

حدد الماوردي الإمارة على البلدان بنوعين وهما: (الإمارة الخاصة ، والإمارة العامة) ، ففي الإمارة الخاصة كان يقتصر عمل صاحبها على تدبير الجيش ، وضبط الأمن ، وسياسة الرعية ، والذبِّ عن الحريم من غير التعرض للقضاء والأحكام ، أو جباية الخراج والصدقات[١] .

ويغلب على الوالي أن يشترك مع عامل الخراج والقاضي في إدارة الولاية ، لكن لكل اختصاصه ، غير أن سلطة الوالي تُعَدُّ أعلى السلطات في الولاية ، وفي بعض الأحيان كانت تجمع له وظيفة الخراج مع واجباته الأخرى بوصفه والياً[٢] .

أما الإمارة العامة فهي على نوعين هما : إمارة الاستكفاء وإمارة الاستيلاء ، ففي إمارة الاستكفاء يختار الخليفة أحد رجاله الأكفاء ، ويفوض إليه إمارة الإقليم ، ولا يرجع إليه إلا في بعض الأمور الهامة ، وتشمل وظائف من يتولاها الأمور التالية : تدبير الجيوش ، وترتيبهم في النواحي ، وتقدير أرزاقهم ، والنظر في الأحكام

(١) الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب(٤٥٠هـ/١٠٥٧م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت.) ، ص٣٧.

(٢) الكندي، محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار بيروت ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩م. ص١٤٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتقليد القضاة ، وجباية أموال الخراج والصدقات ، وإنفاقها في الوجوه المشروعة ، وحماية الدين والدفاع عن الحريم ، وإقامة حدود الشرع ، وإمامة المسلمين في الصلاة ، وتسيير قوافل الحج ، وأخيرًا جهاد العدو وقسمة الغنائم إذا كان ذلك الإقليم متاخمًا للعدو[١] .

وفيما يتعلق بإمارة الاستيلاء فإن أميرها يستولي عليها بالقوة ، فيكون الخليفة مضطرًا لتقليد ذلك الأمير ، حيث يفوض إليه تدبير شؤونها ، ويكون صاحبها مطلق التصرف في جميع شؤون ولايته ، ولكن حتى يقره الخليفة على إمارته ، فإن عليه أن يلتزم بطاعة الخليفة في الأمور الدينية ، والوقوف إلى جانب الخلافة في وجه الأخطار التي تتعرض لها ، وجمع الأموال المفترضة على الرعية[٢] .

في ضوء ما سبق كانت الإمارة في العصر العباسي الأول (١٣٢ -٢٣٢هـ/ ٧٥٠ -٨٤٦م) تتمثل بالإمارة الخاصة وإمارة الاستكفاء[٣] في حين أن الإمارة العامة ظهرت بشكل واضح في العصر العباسي الثاني (٢٣٢ -٦٥٦هـ/٧٥٠ - ١٢٥٨م) ، بسبب سيطرة العناصر الأجنبية على مقاليد السلطة ، وما ترتب على ذلك من إضعاف الخلافة العباسية[٤] .

الولايات في عهد الدولة العباسية الأولى :

لقد كانت الدولة الإسلامية في عهد أبي العباس السفاح (١٣٢ -١٣٦هـ/ ٧٥٠ -٧٥٤م) مؤلفة من اثنتي عشرة ولاية هي :

١ - الكوفة والسواد

٢ - البصرة ، وإقليم دجلة والبحرين وعُمان .

٣ - الموصل[٥] .

---

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٥ .

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٥ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٥ .

(٤) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص٣٥ .

(٥) ابن خياط ، خليفة (٢٤٠هـ/٨٥٤م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، (٢جزء) ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، دار القلم ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ج٢ ، ص٤٣٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤ - الشام وتضم دمشق والجولان والأردن وفلسطين وقنسرين وحمص وبعلبك[١].

٥ - الجزيرة وأرمينية وأذربيجان.

٦ - الأهواز ويشمل خوزستان وسجستان .

٧ - فارس[٢] .

٨ - خراسان وتضم كوراً مثل :نيسابور ، ومرو ، وهَراه ، وبلخ ، وقوهستان ، وطوس ، ونسا ، وأبيورد ، وسرخس ، وأسفزار ، وفوشنج ، وباذغيش ، وكش ، ونسف ، ومروروذ ، وجوزجان ، وطخارستان ، وزم ، وآمل[٣].

٩ - السند .

١٠ - الحجاز (المدينة المنورة ومكة المكرمة) واليمامة .

١١ - اليمن .

١٢ - مصر وإفريقية[٤] .

والجدير بالملاحظة أن هذه التقسيمات لم تكن ثابتة خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٥٠ -٨٤٦م) ، فقد كانت تتغير من حين لآخر تبعا لمنزلة الوالي عند الخليفة العباسي ، ويتضح ذلك من خلال حديثنا عن ولاية المدينة المنورة التي كانت من أهم الولايات العباسية ، نظرًا لمكانتها الدينية ،

---

(١) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٦٣، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ط٤، دار المعارف، القاهرة ،١٩٦٧م، ج٧، ص٤٥٨ القلقشندي، أحمد بن عبد الله (٨٢١هـ/ ١٤١٧م) ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، (د. ن)، الكويت، ١٩٦٤م ، ج١، ص١٨١ -١٨٢.

(٢) ابن خياط، تاريخ، ج٢، ص٤٣٧ -٤٣٨ .

(٣) ابن رسته، أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) ، الأعلاق النفيسة، بريل، ليدن، ١٩٦٧م، ص١٠٥، ياقوت، شهاب الدين الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ج٢، ص٣٥٠، جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).ص٢٩٩ .

(٤) ابن خياط، تاريخ ، ج٢، ص٤٣٨ -٤٣٩، عبد الجبار العبيدي، الإدارة في مطلع العصر العباسي الأول، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، م١٥، ع٣، خريف ١٩٨٧م ، ص٢٦٤

ولاة المدينة في العصر العباسي الأول

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واحتوائها على عدد كبير من ذرية بني هاشم بعامة وبني العباس بخاصة[١].لذا اختير أفضل رجال البيت العباسي لإدارة شؤونها .

وفيما يلي جدول بأسماء ولاة المدينة المنورة من الأسرة العباسية خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٥٠ - ٨٤٦م) :

الوالي	في عهد الخليفة	اسم الولاية	تاريخ ولايته	مدة الولاية	سبب العزل	ملاحظات
داود بن علي بن عبد الله بن العباس	أبي العباس السفاح	مكة والمدينة ثم ألحق بولايته الطائف واليمن واليمامة	١٣٢هـ/٧٤٩ - ١٣٣هـ/٧٥٠م	ثلاثة أشهر	وفاته	[أول من ولي المدينة من بني العباس] أناب ابنه موسى على المدينة[٢] .
موسى بن داود بن علي بن عبد الله ابن العباس	أبي العباس السفاح	مكة والمدينة	١٣٣هـ/٧٥٠ م -	لم تذكر	لم تذكر المصادر	تولاها بعد وفاة والده داود بن علي [٣]

(١) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م. ص٣٥، الأزرقي، محمد بن عبد الملك (٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما فيها من الآثار، مكتبة خياط،بيروت، (د.ت)، ص٤٨٩

(٢) ابن قتيبة ،المعارف، ص١٦٣؛ البلاذري، أحمد بن يحيى(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أنساب الأشراف(العباس بن عبد المطلب وولده)، ق٣، تحقيق عبد العزيز الدوري، ،دار فرانتس شتايز بفيسبادن،بيروت، ١٩٧٨ ،ق٣،ص٨٧؛ وكيع ؛ محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)،أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت)، ج١، ص٢٠٠، الطبري،تاريخ، ج٧،ص٤٥٨ -٤٥٩ ، مجهول (ت ق٤ هـ/ ق١٥م)،العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٣ ، نشر م. ج. دي جويه (M. J. Degeorge مطابع بريل، ليدن، ١٨٦٩م ، ج٣، ص٢٣٣.؛ ابن عساكر ؛ علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١/ ١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، مخطوطة نشرت بالتصوير الشمسي عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، وكمل نقصها من النسخ الأخرى بالقاهرة ومراكش واستانبول. دار البشير، عمان. د. ت. ١٩ مجلداً. ونسخة أخرى بالتصوير الشمسي ، عن مخطوطة لينغراد مجمع اللغة العربية، دمشق. ١٩٧٨م، ج٦ ، ص ٢٩ /٦٠ .

(٣) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢، ص ٤٣٨ ؛ ابن عساكر دمشق ، ج ١٧ ، ص ٢٦٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	أبي جعفر المنصور	مكة والمدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر[1]	(المرة الأولى)
جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس	أبي جعفر المنصور	المدينة	١٤٦ - ١٤٩هـ ٧٦٣ -٧٦٦م	٣ سنوات	لم تذكر[2]	(المرة الأولى)

الوالي	في عهد الخليفة	اسم الولاية	تاريخ ولايته	مدة الولاية	سبب العزل	ملاحظات
عبد الصمد بن علي بن عبد الله ابن العباس	أبي جعفر والمهدي	المدينة	١٤٩ - ١٥٩هـ ٧٦٦ - ٧٧٥/م	١٠ سنوات	لم تذكر[3]	
محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	أبي جعفر المنصور	المدينة	١٥٥هـ/ ٧٧١م	لم تذكر	لم تذكر	جمعت له مكة والطائف والمدينة في ولاية واحدة سنة ١٥٥/ ٧٧١م. كان يقيم في المدينة وابنه إبراهيم نائبا عنه على مكة[4] (المرة الأولى).

(١) أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٢ ، ص٨٤ ، الصفدي، صلاح الدين، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي بدمشق، ١٩٥٥م، ص٨٩.

(٢) ابن الكلبي ؛ هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ط١ ،عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية. (د. م)، ١٩٨٦م،ص ٣٧٤ ؛
البلاذري ، الأنساب ، ق٣ ،ص٩٦ وكيع؛ القضاة، ج١، ص٢٠٢، الطبري ، تاريخ، ج٨ ، ص٤٦٦

(٣) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٦٠ ، ٤٧١؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٦٣ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج٤٢ ، ص ٢٨٠

(٤) ابن عساكر ، دمشق ، ج٤٢ ، ص ٢٨٠ ؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م،ج٨ ، ص ١٨٥ -١٨٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جعفر بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس	المهدي	المدينة	١٦٠ - ١٦٦هـ ٧٧٦ -٧٨٢م	٦ سنوات	لم تذكر[١]	(المرة الثانية)
علي بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	١٦٥هـ/٧٨١م	لم تذكر	لم تذكر	استخلف عليها مولاه أبا مقاتل[٢]
إبراهيم بن يحيى ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس	المهدي	المدينة	١٦٦ - ١٦٧هـ ٧٨٢ -٧٨٣م	سنة واحدة	١٦٧هـ/٧٨٣م وفاته[٣]	
إسحاق بن عيسى ابن علي بن عبد الله بن العباس	المهدي والهادي	المدينة	١٦٧هـ/٧٨٣م	لم تذكر	لم تذكر[٤]	

الوالي	في عهد الخليفة	اسم الولاية	تاريخ ولايته	مدة الولاية	سبب العزل	ملاحظات
إسحاق بن يحيى ابن محمد علي ابن عبد الله بن العباس	المهدي	المدينة	١٦٧ - ١٦٩هـ ٧٨٣ -٧٨٥م	سنتان	لم تذكر[٥]	
إسحاق بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	١٧٠هـ/٧٨٦م	لم تذكر	لم تذكر[٦]	
محمد بن إبراهيم ابن محمد بن	هارون الرشيد	مكة والمدينة واليمن	١٧٨هـ/٧٩٤م	لم تذكر	لم تذكر	كان ابنه العباس ينوب عنه على

(١) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٧١ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج٤٢ ، ص ٢٨٠

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٧٢

(٣) ابن عساكر ، دمشق ، ج٤٢ ، ص٢٨٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ،ص٢٨٨ ؛ ابن الأثير، عز الدين، علي بن أبى الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ج٥ ، ص٦٨.

(٤) ابن عساكر ، دمشق ، ج٢ ، ص٧٧٨ ؛ أبو المحاسن ، النجوم ، ج٢ ، ص٦٦

(٥) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٧١.

(٦) البلاذري ، الأنساب ، ق٣ ، ص٩٤ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٦

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

علي بن عبد الله ابن العباس						المدينة[١] (المرة الثانية)
موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر[٢]	(المرة الثانية)
عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر[٣]	
احمد بن إسماعيل بن علي ابن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر[٤]	

الوالي	في عهد الخليفة	اسم الولاية	تاريخ ولايته	مدة الولاية	سبب العزل	ملاحظات
إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	هارون الرشيد	المدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر[٥]	
سليمان بن عبد الله بن سليمان علي بن عبد الله ابن العباس	المأمون والمعتصم	مكة والمدينة	٢١٣ - ٢١٨هـ ٨٢٨ -٨٣٣م	خمس سنوات	لم تذكر	كان هو وابنه محمد يتداولان العمل مرة الأب على المدينة والابن

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٦ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج١٤ ، ص ٧٧٠ .
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٦ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج١٧ ، ص٣٩٦
(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٦.
(٤) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٩٧ ؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٨م)،تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٩٦٤م، ج٣ ، ص١٤٩
(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٣٤٦ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج١٧ ، ص٣٩٦

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

						على مكة ، ومرة بالعكس[١]
محمد بن أيوب ابن جعفر المنصور	المعتصم	المدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر	ذكره الطبري في أحداث ٢٢٦هـ/٨٤٠م[٢]
محمد بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس	الواثق	مكة والمدينة	لم تذكر	لم تذكر	لم تذكر	لعل المقصود بمحمد بن عيسى هو محمد بن داود بن عيسى بن موسى[٣]
محمد بن صالح ابن العباس محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس	الواثق	المدينة	٢٢٩هـ/٨٤٣م	لم تذكر	لم يذكر	آخر من تولاها من الأسرة العباسية[٤]

يتضح من الجدول السابق أن الخلافة العباسية حرصت على اختيار أفضل رجال البيت العباسي لإدارة المدينة المنورة ، إذ يذكر يحيى بن خالد البرمكي أن الرشيد عيّن عبد الملك بن صالح على المدينة ، لأنه - أي الرشيد - « أحب أن يباهي به قريشًا ، ويعلمهم أن في بني العباس مثله »[٥]. فعبد الملك - كما وصفه الكتبي - « كان أفصح الناس وأخطبهم ، ولم يكن في عصره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته »[٦] ، كما وصف الذهبي عبد الملك بن صالح بن علي

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٢٦٢ ؛ ابن عساكر ، دمشق ، ج٧ ، ص٦٢١

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١١٥

(٣) القلقشندي ، مآثر الإنافة ، ج١ ، ص٢٢٧

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص١٢٨ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١ ، ص١١٤

(٥) الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٧٣/ ١٩٧٤م، ج٢، ص٣٩٨ .

(٦) الكتبي، فوات ، ج٢، ص٣٩٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإخوته بقوله : « .. وله عدة أمراء سادة قادة ، قَلَّ أن يتفق إخوة مثلهم في الجلالة والسؤود »[١] .

ويظهر من الجدول السابق أيضا أن ثمانية عشر واليًا عباسيًا قد تعاقبوا على إدارة المدينة المنورة خلال العصر العباسي الأول.

ويلاحظ أيضاً أن معظم أبناء العمومة (أعمام الخليفة أبي العباس) شاركوا في إدارة ولاية المدينة المنورة ، وهم : أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس ، وإسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، وإسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، وجعفر بن سليمان بن علي عبد الله بن العباس ، وعبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، وموسى بن داود بن علي بن عبد الله بن العباس .

أما أبناء عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فلم يشاركوا في إدارة المدينة ، وقد ذكر ابن حزم أن عبد الصمد بن علي كان له عشرة ذكور غير أنه « لم يشتهر منهم أحد »[٢] .

ولم تقتصر إدارة المدينة على أفراد البيت العباسي ، فبعض الخلفاء العباسيين استعانوا ببعض أقربائهم لإدارة شؤونها ، ومن هؤلاء أبو العباس الذي اعتمد على خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي في إدارة المدينة ومكة والطائف واليمامة عقب وفاة داود بن علي سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م[٣].

كما تذكر بعض المصادر أن علي بن عيسى بن موسى بن محمد استخلف مولاه أبا مقاتل بالنيابة عنه واليًا على المدينة ، وذلك في سنة ١٦٥هـ/٧٨١م[٤] .

والجدير بالملاحظة أن منزلة بعض الولاة عند الخلفاء العباسيين هي التي كانت تتحكم في حجم ولايته ، فقد تجمع له ولاية المدينة مع عدة ولايات أخرى

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء، ج٨، تحقيق نعيم العرقسوسي ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ج٨، ص٢٧٥

(٢) ابن حزم، الأنساب، ص٣٧ .

(٣) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٥٩ .

(٤) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٧٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في وقت واحد ، فمثلاً جمعت لداود بن علي سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م المدينة ومكة والطائف واليمن واليمامة في ولاية واحدة[١].

وكانت المصاهرة عاملاً مهماً آخر يزيد من مكانة الوالي عند الخليفة ، إلى جانب صلة القربى والكفاءة ، إذ تقوي نفوذه بجمع عدد من الولايات تحت لوائه، أو يصبح والياً على أكثرها أهمية. فزواج إسحاق بن عيسى بن علي من العالية بنت المهدي[٢] أسهم في توليه المدينة[٣] .

ولأهمية بلاد الحجاز لدى الخلافة العباسية اقتصرت ولايات بني العباس منذ خلافة المعتصم (٢١٨ -٢٢٧هـ/٨٣٣ -٨٤١م) على المدينة ومكة فقط ، في حين حل الأتراك في الولايات الأخرى مكانهم[٤] .

ولاة المدينة يلقون ترحيبًا كبيرًا من سكانها

ووجد معظم من ولي المدينة ترحيبًا كبيرًا من سكانها ، فعندما ولي عبد الصمد بن علي على المدينة سنة ١٤٩هـ[٥]/ ٧٦٦م أثنى عليه أحد الشعراء بقوله :

استهلي يا طيب من كل قطر ... بالأمير الذي به تغبطينا
بالذي إن أمنت نَوَّمَك الأمن ... وإن خفتِ نمتِ لا توقظينا[٦]

وتنافس أهل المدينة ومكة على إقامة الوالي عندهم لا سيما إذا جُمعت له الولاية عليهما ، فعندما جُمعت لداود بن عيسى بن موسى بن محمد الولاية على مكة

(١) البلاذري ، الأنساب ، ق٣ ، ص ٨٧ ، مجهول ، العيون ، ج٣ ، ص ٢٣٣ .
(٢) البلاذري ، الأنساب ، ق٣ ، ص ٢٧٧ ، الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٠٢ .
(٣) ابن عساكر ، دمشق ، ج٢ ، ص٧٧٨ ؛ أبو المحاسن ، النجوم ، ج٢ ، ص٦٦ .
(٤) المسعودي ، أبو الحسن، علي بن الحسين (٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١، ١٩٨٢م.، م٢ ، ص ٤٤١ ، ابن الأثير ،الكامل ، ج٥ ، ص ٢٣٩ ، ابن العديم ، كمال الدين، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) ، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج١، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ١٩٥١م، ج١ ، ص٧٠ .
(٥) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢، ص٤٦٠، ٤٧١، ابن قتيبة، المعارف، ص١٦٣.
(٦) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢ ، ص٤٦٠ ، ٤٧١؛ ابن قتيبة، المعارف، ص١٦٣.
(٦) ابن عساكر ، دمشق ، ج١٠، ص ٣٣٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمدينة في خلافة الأمين والمأمون ، أقام داود بمكة عشرين شهرًا ، فأرسل إليه أهل المدينة يسألونه التحول إليهم ، ويخبرونه أن مقامه في المدينة أفضل من مقامه في مكة ، وأهدوا إليه شعرًا ، ومما كتبوه له ما يلي :

ألا قل لداودَ ذي المكرماتِ ... والعدلِ في بلدِ المصطفى
أقمتَ بمكةَ مستوطنًا ... فهاجرْ لهجرةِ من قَد مَضَى[1]
مَقَامُكَ عِشرين شهرًا بها ... كثير لهم عند أهل الحجا
فقبرُ النَّبيِّ وآثارُه ... أحقُّ بقربك من ذي طوى[2]

فلما علم داود وأهل مكة بهذه الأبيات ، رد عليها أحد شعراء مكة بقصيدة أخرى يذكر فيها فضل مكة وما حباها الله من الخصال الحميدة، فقال :

أداودُ أنتَ الإمامُ الرِّضا ... وأنتَ ابنُ عمِّ نبيّ الهُدى
وأنتَ المُهَذَّب من كلِّ عيبٍ ... كبيرًا وَمِن قَبْلِهِ في الصِّبَا
وأنتَ المُؤَمَّلُ من هاشمٍ ... وأنتَ ابن قومٍ كرامٍ تُقَى
أتاكَ كتابُ حسودٍ جحودٍ ... أَسَا في مَقَالَتِهِ واعْتَدى
يُخَيِّرُ يثربَ في شِعْرِهِ ... عَلى حرمِ اللهِ حيثُ ابتنى
فَإن يَكُ يَصدُق فيما يَقولُ ... فَلا يسجُدَنَّ إِلَى مَا هُنَا
وَأَيُّ بِلادٍ تَفُوقُ امَّهَا ... وَمَكَّةُ مَكَّةُ أُمُّ القُرى[3]

ولما كانت المدينة ومكة تجمع تحت إدارة والٍ واحد ، كان هذا الوالي يستعين بابنه أو أخيه ، لينوب عنه في إدارة المدينة ، فداود بن علي لما ولي مكة والمدينة (١٣٢ -١٣٣هـ/ ٧٥٠ -٧٥١م) ، أناب ابنه موسى عنه على المدينة[4] ، كما ناب العباس بن محمد بن إبراهيم بن محمد عن والده على المدينة سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م ،

(١) البلاذري ، الأنساب ، ق٣، ص٢٨٠ ، الصولي ، أبو بكر ، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) ، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق ، نشر. ج، هيورث ، ط٢ ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٧٩م.، ص٣١٢ .

(٢) ابن عساكر ، دمشق ، ج٦ ، ص ٣٤ .

(٣) ابن عساكر ، دمشق، ج٦، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٤) البلاذري ، الأنساب ، ق٣ ، ص٨٧ ، ابن عساكر ، دمشق ج٦ ، ص ٢٩ ، ٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وناب أخوه إبراهيم بن محمد بن إبراهيم على اليمن ، في حين تولى والدهما مكة[١] ، ولما جمعت لسليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي الولاية على مكة والمدينة ما بين (٢١٣ -٢١٨هـ/٨٢٨ -٨٣٣م) ، « كان هو وابنه محمد يتداولان العمل ، مرة الأب على المدينة ، والابن على مكة ، ومرة بالعكس »[٢] .

والجدير بالملاحظة أن المعلومات قليلة عن تأريخ تعيين بعض الولاة وأسباب عزلهم ، ومع ذلك تُشْعِرُ بعض الروايات التاريخية أن عزل معظم الولاة كان هدفه إفساح المجال أمام باقي أفراد البيت العباسي وغيرهم للمشاركة في إدارة الحجاز ، وفي الوقت نفسه حرص معظم العباسيين على عدم الاستغناء عن خدمات بعض الولاة العباسيين ، وبخاصة العمومة ، وذلك لجهودهم الكبيرة التي بذلوها في قيام الدولة ، ولمكانتهم الرفيعة في المجتمع العباسي بعامة وعند خلفاء بني العباس بخاصة .

الخلافة العباسية تراقب الولاة وتحاسب المقصر منهم

ومع ذلك حرصت الخلافة العباسية على مراقبة الولاة ومحاسبتهم ، ومثال ذلك أن أبا جعفر حرص على متابعة شؤون الولايات بنفسه ومعاقبة المقصر من ولاته ، ولم يسلم من المحاسبة حتى عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس (شيخ البيت العباسي) إذ خضع للمساءلة من قبل عمه الخليفة أبي جعفر المنصور ، لارتكابه أخطاء في أدائه أثناء ولايته على المدينة سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م.فقد ذكر ابن الجوزي أن عبد الصمد بن علي لما وليّ المدينة في سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م عاقب بعض القريشيين ، وكان من بينهم الحسن بن زيد وأمر بسجنه « فكتب بعض قرابته إلى أبي جعفر ، فكتب أبو جعفر إلى المدينة ، وأرسل رسولاً وقال : اذهب فانظر قومًا من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله ويكتبوا

(١) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص٣٤٦، ابن عساكر، دمشق، ج١٤، ص٧٧٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦٢٦، ابن عساكر، دمشق، ج٧، ص٦٢١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إليَّ بها ، فأَدخَلُوا عليه في حبسه : مالكَ بن أنس وابن أبي ذئب ، وابن أبي سبرة وغيرهم من العلماء ، فقالوا : اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين ، قال : وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حلَّ عنه الوثاق وألبسه ثيابًا ، وكَنَسَ البيت الذي كان فيه ورَشَّهُ ، ثم أدخلهم عليه. فقال لهم الرسول : اكتبوا بما رأيتم ، فأخذوا يكتبون : شهد فلان وفلان. فقال ابن أبي ذئب : لا تكتبوا شهادتي أنا أكتبها بيدي . إذا فرغت فارمِ إليَّ بالقرطاس ، قال : فكتبوا رأينا محبسًا لينًا ورأينا هيئة حسنة ، وذكروا ما يشبه هذا من الكلام قال : ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب فلما نظر في الكتاب ... نادى : يا مالك ؛ داهنت وفعلت وملت إلى الهوى ، لكن اكتب : رأيت مجلساً ضيقاً وأمراً شديداً ، قال : وجعل يذكر شدة الحبس وضيقه . قال : وبُعِثَ الكتاب إلى أبي جعفر ، فقدم أبو جعفر حاجاً ، فمر بالمدينة فدعاهم ، فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون وجعل ابن أبي ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه ، وشدة عبد الصمد ، وما يلقون منه. قال : وجعل أبو جعفر يتغير وجهه ، وينظر إلى عبد الصمد غَضِباً ، قال الحسن بن زيد : فلما رأيت ذلك أردت أن أُلَيِّنَهُ ، وخشيت على عبد الصمد من أبي جعفر أن يعجل عليه. فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ويرضى هذا أحد ، قال ابن أبي ذئب : أما والله إن يسألني عنك لأخبرنَّه ، فقال أبو جعفر : فإني أسألك ، فقال : يا أمير المؤمنين وَلِيَ علينا ففعل بنا وفعل . فأطنب فِيَّ ، فلما ملأني غيظاً قلت :أفيرضي هذا أحد يا أمير المؤمنين ؟ سله عن نفسك ، فقال له أبو جعفر : فإني أسألك عن نفسي فقال : لا تسألني ، فقال : أنشدك بالله فكيف تراني ؟ ، قال : اللهم ما أعلمك إلا ظالماً جائراً . قال : فقام إليه وفي يده عمود ، قال الحسن : فجمعت إليّ ثيابي مخافة أن يصيبني من دمه وقلت : الآن يضربه بالعمود فجعل يقول له : يا مجوسي أتقول هذا لخليفة الله في أرضه ؟ وجعل يرددها عليه ، وابن أبي ذئب يقول : إنك نشدتني بالله يا عبد الله . قال : ولم ينله بسوء قال : وتفرقوا على ذلك »[1] .

(١) ابن الجوزي، المنتظم ، ج٨ ، ص٢٣٣-٢٣٤.

والجدير بالذكر أن أبا جعفر استعان بالبريد على تقصي أخبار ولاته ، فوافاه بأحوالهم يومًا بيوم[١] ، ويعلق الدوري على ذلك بقوله : « ولذلك لا يستغرب إذا سمعنا أن المهدي نفسه كان خاضعًا لرقابتهم حينما عُيِّنَ واليًا على غربي إيران »[٢] .

الإنجازات التي حققها العباسيون في المدينة :

أما أهم الإنجازات التي حققها بنو العباس في ظل إدارتهم على المدينة ، فقد كان لبعضهم دور واضح فيها ، فعندما تولى داود بن علي إمارة المدينة (١٣٢ - ١٣٣هـ/ ٧٤٩ -٧٥٠م) أصبحت إمارته مركزًا لإمارة واسعة ضمت معظم شبه الجزيرة العربية ، فأضيفت إليه مكة والطائف واليمن واليمامة ، فعمل على ترتيب أمور إمارته ، ورتب أمر شرطته ، واستبعد من ظن به الولاء أو الميل لبني أمية ، ثم خرج إلى الحج ، فخطب بالناس معلنًا العفو عما سلف ، ومما قاله : « إنما كانت لنا فيكم تبعات وطلبات ، وقد تركنا ذلك كله ، وأنتم آمنون بأمان الله ؛ أحمركم وأسودكم وصغيركم وكبيركم ، وقد غفرنا التَّبِعات ووهبنا الظُلاَمَاتِ ، وضرب بيده إلى الكعبة قائلاً : فلا ورب هذه البنية لا نهيج أحدًا »[٣].

وبعد أداء الحج رجع داود إلى المدينة ، وأظهر لأهلها الحزم ، وهدد من تُحَدِّثُه نفسه بالفتنة ، ثم لاحق بني أمية ، وقتل عددًا منهم ، أما من بقي منهم ، فتواروا عن الأنظار[٤] ، كما صادر ممتلكاتهم[٥] .

---

(١) الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م) ، الوزراء ، والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وغيره ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص١٣٩ ، ١٤٠.

(٢) عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٤٥م ، ص٨٠ .

(٣) عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ط١ ، المدينة المنورة ، ١٩٩٣م ، ص٤ .

(٤) الطبري ، ج٧ ، ص٤٥٩ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، ط٢ ، بيروت ، مكتبة المعارف ، ١٩٩٠م ، ج١٠ ، ص ٥٦ .

(٥) ابن شبه ، عمر بن شبه (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) ، تاريخ المدينة المنورة ، علّق عليه وخرّج أحاديثه علي محمد دندل ، ياسين سعد الدين بيان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ١٥٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويظهر أن داود بن علي بالغ في عقابه لبني أمية ، الأمر الذي ترك أثرًا سيئًا في نفوس أهل المدينة ، فالسخاوي ذكر أن داود بن علي توفي في عام ١٣٣هـ/٧٤٩م « بعد أفعال ذميمة من قتل ونحوه »[١] ، فعندما أحس بدنو أجله استخلف ابنه موسى ، أملاً أن يكون الأمير عليها من بعده ، لكن أبا العباس عقد الولاية لخاله زياد بن عبد الله الحارثي[٢].

ولما حج أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م زار المدينة المنورة ، وأحدث بعض الإصلاحات على المسجد النبوي ، فأمر بتغطية صحن المسجد بستائر خاصة لحماية المصلين من حر الصيف ، وقد ذكر ابن الضياء المكي عند وصفه الستائر التي كانت في صحن المسجد النبوي بقوله : « إنه لما قدم أبو جعفر المنصور سنة أربعين ومئة أمر بستور فستر بها صحن المسجد ، على عمد لها رؤوس كقريات الفساطيط ، وجعلت في الطيقان ، فكانت لا تزال العمد تسقط على الناس ، فغيرها وأمر بستور أكثف من تلك الستور ، وحبال تأتي من جدة تسمى (القنبار) وجعلت مشتبكة ، فكانت تجعل على الناس كل جمعة ، فلم تزل حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومئة ، فأمر بها فقطعت ذرايع لمن كان يقاتل معه »[٣] .

وفي سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م شهدت المدينة حركة مناهضة للخلافة العباسية بقيادة محمد « ذي النفس الزكية » ، لكن هذه الحركة فشلت في تحقيق هدفها ، وذلك يعود لبعض الولاة العباسيين الذين تولوا إدارة المدينة ، وقد تولى بعضهم ملاحقة أتباع تلك الحركة ، ففي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م استمر جعفر بن سليمان بن

---

(١) السخاوي، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص٧٢ .

(٢) ابن خياط ، تاريخ ، ج٢، ص ٤٣٨ ؛ ابن عساكر، دمشق ، ج ١٧ ، ص ٢٦٦ .

(٣) ابن الضياء المكي ، محمد بن أحمد (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م) ، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق علاء الأزهري وأيمن الأزهري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧م ، ص ٢٨٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

علي في البحث عن أصحاب محمد « ذي النفس الزكية »[١] ، كذلك بعث جعفر بن سليمان إلى أخيه محمد بن سليمان الوالي على البصرة يطلب إليه ملاحقة من فر إليه من العلويين[٢] .

ولعل عدم استقرار الأمن في المدينة دفعت بعدد كبير من بني العباس إلى النزوح عنها إلى مكة ، فالإشارات الواردة في تاريخ المدينة تشعر بذلك ، ويظهر أن العباسيين باعوا ممتلكاتهم التي كانت لهم فيها ، وفَضَّلُوا الإقامة في مكة .

إن ما ذكره ابن شبة عن منازل بني العباس في المدينة يقتصر على عيسى بن موسى بن محمد وبعض سادات بني العباس ، فعيسى بن موسى كانت داره بجوار بيوت آل مصبح[٣] ، وبالتحديد ما بين دار صهيب بن سنان ، حليف بني تميم ودار كرز بن حبيب ، مولى الحكم بن أبي العاص[٤] .

ويظهر أن عيسى بن موسى اشترى داره هذه من بعض ولد أبي الجهم ، فقد ذكر ابن شبة أن بعض ولد أبي جهم باعوا قسماً من دارهم « فصارت لعيسى بن موسى »[٥] .

وبعد القضاء على حركة محمد « ذي النفس الزكية » عادت السكينة إلى نفوس أهل المدينة ، فعادت حلقات العلم في المسجد إلى ما كانت عليه قبل الفتنة ، وكان نجمها الكبير الإمام مالك بن أنس ، ومن نجومها الآخرين جعفر بن محمد وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الذي رحل إليه طلاب العلم من مختلف الأقطار ، وقد شجع الاستقرار والأمن قدوم طلاب العلم إلى المدينة والإقامة فيها مدة من الزمن ، والأخذ عن علمائها ، كما شهدت المدينة نهضة اقتصادية ، لا سيما

---

(١) الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) : مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعرفة للنشر، بيروت، (د. ت).، ص٣٠١ ، ٣٠٣ .

(٢) الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٠٧ .

(٣) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص١٥٣ .

(٤) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص١٤٩ .

(٥) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص١٥٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في مجال الزراعة ، وخاصة زراعة الحبوب ، كذلك نشطت التجارة مع مصر واليمن وبلاد الشام[١].

وخلال ولاية عبد الصمد بن علي على المدينة (١٤٩ -١٥٩هـ/٧٦٦ -٧٧٥م) قام بإصلاحات مهمة ، ففي سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م في خلافة أبي جعفر المنصور تعرضت المدينة لسيل جارف يعرف بسيل مهزور (وادي قريظة) ، وتركز في منطقة العالية ، والبطحاء ، وأخذ يقترب من المسجد النبوي ، فخاف الناس ، وقد طغى السيل ، وملأ صدقات رسول الله ﷺ ، فدلوا على مصرفه ، فحفروا في برقة صدقة النبي ﷺ ، فانصرف الماء فيها ، وغاض إلى بطحان ، وكان الذي دلهم على ذلك عجوز مسنة من أهل العالية ، إذ قالت لهم : « إني كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور ، فاهدموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة فهدمها الناس ، فأبدوا عن تلك الحجارة »[٢] .

وفي رواية أخرى ذكر ياقوت أن الناس خرجوا « وقد ملأ السيل صدقات رسول الله ﷺ فدلتهم عجوز من أهل العالية على موضع كانت تسمع الناس يذكرونه ، فحفروه فوجدوا للماء مسيلا ففتحوه فغاض الماء منه إلى وادي بطحان »[٣] .

المهدي يأمر بتوسعة المسجد النبوي الشريف

وخلال ولاية جعفر بن سليمان بن علي على (المدينة ومكة) سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م[٤] قام بأعمال خيرية كثيرة ، فقد ذكر الذهبي أن جعفر بن سليمان أتمَّ في ولاياته « مآثر كثيرة ، ووقف على المنقطعين »[٥] .كما عمل على توسعة مسجد المدينة[٦] ،

(١) عبد الباسط ، التاريخ الشامل ، ج٢ ، ص ٥٧ -٥٨ .

(٢) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٩ -١٧٠.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٤.

(٤) ابن خياط، تاريخ، ج٢، ص٤٧١، ابن الجوزي، المنتظم ، ج٨، ص٢٨١.

(٥) الذهبي، أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٣٩.

(٦) البلاذري ، أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان ، تحقيق ، عبد الله أنيس الطباع وعمر وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٤ ، السمهودي ، نور الدين علي (ت

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وذلك بأمر من الخليفة المهدي ، فقد رأى الخليفة ازدحام الناس في المسجد النبوي فعزم على توسعته ، وشاور أهل المدينة في الأمر فوافقوه عليه ، واختار اثنين منهم ليشرفا على البناء ، وهم عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز ، حفيد عمر بن عبد العزيز الذي وسع المسجد على يديه زمن الوليد ، وعبد الملك بن شبيب ، وأوصى أن يبدأ الهدم بعد انتهاء الموسم ورحيل الحجاج ، وأن يُضمَّ للمسجد عددٌ من الدور في جهته الشمالية ، ووعد بإرسال الأموال اللازمة لذلك[١] .

بُدء العمل في توسعة المسجد النبوي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، وقام جعفر بن سليمان بن علي بتنفيذ أمر الخليفة ، وكان عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز أحد المكلفين بأمر التوسعة قد توفي ، فكتب للخليفة بذلك ، فأرسل الخليفة عبد الله بن موسى الحمصي وهو أحد العارفين في البناء ليقوم مقامه ، فزادوا في المسجد من جهة الشام مئة ذراع ، ولم يُزد فيه من الشرق والغرب شيئًا ، واشترى القائمون على التوسعة أربع دور شمالي المسجد وهدموها ، ليدخلوها في المسجد ، وهي :دار عبد الرحمن بن عوف ، ودار شرحبيل ، وبقية دار عبد الله بن مسعود ، ودار المسور بن مخرمة[٢] ، كما هدموا السور الشمالي والمنطقة التي زادها الوليد بن عبد الملك ، وخططوا لبنائها من جديد ، وتواردت عليهم الأموال متوالية ، وكانوا كلما أنجزوا جزءًا كتبوا بخبره للمهدي ، فسُرَّ به وأرسل لهم مزيدًا من المال ، وخلال العمل في التوسعة كان الناس يصلون في الجزء القديم من المسجد وفي ساحاته الخارجية[٣] .

وقد عنى المشرفون على البناء بتحسين التوسعة الجديدة وتزيينها بالحجارة المنقوشة، واختاروا للسقف خشب الساج الثمين والقوي، وكسيت أطراف من

٩١١هـ/١٥١٠م)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، تحقيق محمد محيي الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٥٥م ، ج٢، ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

(١) عبد الباسط ، التاريخ الشامل ، ج٢ ، ص٦٥ ، ٦٧ .

(٢) ابن الضياء المكي ، تاريخ مكة ، ص٢٨٤ .

(٣) ابن الضياء المكي ، تاريخ مكة ، ص٢٨٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الجدار بالفسيفساء وزينت بكتابة بعض الآيات القرآنية ، فجاءت التوسعة مضاهية في جمالها ومتانتها للبناء الأموي السابق ، وانتهت التوسعة وشهد الوافدون في موسم حج عام ١٦٥هـ/٧٨٢م المسجد النبوي في حلة قشيبة[١] .

وذكر ابن كثير أن الخليفة المهدي لما دخل المدينة أمر بتوسعة المسجد النبوي ، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من المنبر ما كان زاده معاوية بن أبي سفيان ، فقيل له : « إنه يُخشى أن تتكسر خشبة العتيق إذا زعزع ، فتركه »[٢] .

وفي رواية أخرى أن المهدي قال لمالك بن أنس : « إني أريد أن أعيد منبر رسول الله ﷺ إلى حاله التي كان عليها ، فقال له مالك : إنه من طرفاء وقد سمر إلى هذه العيدان وشد ، فمتى نزعته خفت أن يتهافت ويهلك ، فلا أرى أن تغيره ، فانصرف رأي المهدي عن تغييره »[٣] .

مكث المهدي في المدينة أكثر مما يمكث فيها الزائرون القادمون للحج والعمرة ، وأنس به أهلها ، ورغب في أن يصهر إليهم ، فتزوج إحدى حفيدات عثمان بن عفان وهي رقية بنت عمرو ، فكانت هذه المصاهرة من مظاهر رضى المهدي عن المدينة وأهلها ، كما انتخب من أهلها خمسمئة من أعيانها ليكونوا حوله حرسًا بالعراق وأنصارًا ، وأجرى عليهم أرزاقًا غير أعطياتهم ، وأقطعهم إقطاعات معروفة بهم[٤].

كما وزع المهدي على أهل الحرمين أموالاً كثيرة قدرت بثلاثين ألف ألف درهم ، وفرق فيهم من الثياب مئة وخمسين ألف ثوب[٥] .

وفي عام ١٦٦هـ/٧٨٣م أقام الخليفة المهدي محطات للبريد على امتداد الطريق من المدينة إلى مكة فاليمن ، فصارت الأخبار تنتقل بين هذه المناطق

---

(١) ابن الضياء المكي ، تاريخ مكة ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥؛ عبد الباسط ، التاريخ الشامل ، ج٢ ، ص٦٧

(٢) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٣٢

(٣) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص١٨.

(٤) ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٣٢

(٥) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، دول الإسلام، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٩٧

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بسهولة ويسر[١] ، حتى صار الخليفة على اطلاع دقيق بأخبار المدينة ، فكان حريصا على أمنها ، ومعاقبة من يؤثر على استقرارها ، ففي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م : « كتب المهدي إلى جعفر بن سليمان وهو عامله بالمدينة أن يحمل إليه جماعة اتهموا بالقدر ، فحمل إليه رجالاً ؛ منهم عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي ، وعيسى بن يزيد بن دأب الليثي ، وإبراهيم بن محمد بن أبي بكر الأسامي ؛فأدخلوا على المهدي ، فانبرى له عبد الله بن أبي عبيدة من بينهم ، فقال : هذا دين أبيك ورأيه ؟ قال : لا ، ذاك عمي داود . قال : لا ، إلا أبوك ، على هذا فارقنا وبه كان يدين فأطلقهم »[٢] .

وكان الخليفة الهادي قد كلف موسى بن عيسى بن موسى بن محمد للقضاء على الحركة العلوية التي قادها الحسين بن علي العلوي حيث استطاع موسى بن عيسى قتل قائدها في فخ[٣] سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ، وذلك بعد أن أعلن خروجه[٤] .

وتمتعت المدينة في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ -١٩٣هـ/٧٨٦ - ٨٠٨م) بحالة من الاستقرار ، كما قدَّم الخليفة لأهلها عطاءات كثيرة ، ففي عام ١٨٦هـ/٨٠٢م زار الرشيد المدينة ومعه ولداه الأمين والمأمون ففرق كل منهم عطاء على أهل المدينة ، فكان لكل رجل في المدينة ثلاث أعطيات[٥] .

لقد كان لهذه الزيارات التي قام بها بعض الخلفاء العباسين إلى المدينة للاطلاع على أحوالها ، ولتقوية الصلة بأهلها أثر كبير عند أهل المدينة ، من خلال إغداق الهبات ، والعناية بهم، فعم المدينةَ الهدوء والسكينة ، ويظهر أن المؤرخين لم

---

(١) السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق إبراهيم صالح، ط١ ، دار البشاير ، دمشق، ١٩٩٧م ، ص٣٢٤؛ عبد الباسط ، التاريخ الشامل ، ج٢، ص٦٨

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٧٨ .

(٣) فخ : واد بمكة . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٣٧ .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف، ص١٦٦، المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت ٥١٧هـ/١١١٣م) ، البدء والتاريخ ، ج٥ ، باريس ، ١٩١٦م، ج٥ ، ص ٩٩ ، الأصفهاني ، مقاتل ، ص٤٥٢.

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص١١٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يجدوا في هذه الفترة أحداثًا متميزة يسجلونها ، في الوقت الذي ساد اضطرابات في أقاليم أخرى من الدولة العباسية ، مثل حركات الشيعة والخوارج وغيرهم[١].

وهكذا يلاحظ أن بعض الولاة العباسين كان لهم منجزات مهمة خلال إمارتهم على المدينة ، فكان لذلك أثر حسن على مجمل الدولة ، إذ أسهم في ازدهارها ورفعتها .

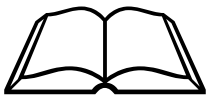

(١) عبد الباسط ، التاريخ الشامل ، ج٢ ، ص ٨٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة